

علاقة التعليم بالمعارف الأخرى

أ. مسلم ضياء الدين*

نشأة التعليمية وموقعها:

في الربع الأخير من القرن العشرين ، أخذ مصطلح تعليمية المواد (didactique des dixiplines) يبرز بقوة في مقابل بعض التراجع في استخدام مصطلح التربية العامة jedarogiégénirale قبل هذه المرحلة . كان يتم التركيز في إعداد المعلمين مثلا على تمكن المعلم من المادة التي يعلمها، ومن معرفتها بمحتوى منهج هذه المادة وكان تعليم المادة يستند إلى الموهبة الشخصية وكان إعداد المعلمين يقتصر على بعض الطرائف العامة المتعلقة بتحديد الأهداف وأساليب الشرح واستخدام وسائل الإيضاح وكانت هذه الطرائق توصف بالعامية لأنها تنطبق على أي مادة من المواد، بقطع النظر عن محتواها، وتفاعل المتعلمين مع هذا المحتوى(صياح ، 2006.ص17)

لقد تراكمت بروز مصطلح التعليمية didactique مع مجموعة تحولات على رأسها انتقال المحور في التربية والتعليم من المعلم الى المتعلم الذي أصبح محور العملية التعليمية: المعلم بعلم ، ولكن هل يتعلم المتعلمون؟ وقد تحولت النظرة إلى المعارف التي تدور عليها العملية التعليمية، ففي الماضي كانت هذه المعارف بضاعة يمتلكها المعلم، ويجتهد في نقلها، بفن ووضوح إلى التلميذ الذي كان عليه أن يعيد إنتاجها، مثبتا أنه تلقاها وتسلمها، وأنه قادر على إعادة تمريرها بدوره

لابد لفهم هذا التحول العميق، من إدراك التغيير الذي طرأ على نظريات التعلم لقد جاءت البنائية constructivisme تكشف لنا أن التلميذ لا يتعلم المعارف، إلا إذا أعاد بنائها بنفسه ففي تفاعل مع رفاقه ومعلمه وان المعرفة ليست بضاعة جاهزة تلقن وتمرر من مرسل هو المعلم إلى متلق هو التلميذ ، استنادا الى التكرار والتدريب والترويض.(صياح ، 2006.ص18)

وإذا التفتنا التفاتة سريعة إلى الظروف التي ظهر فيها مصطلح التعليمية في الفكر اللساني المعاصر نجد ذلك يعود الى m.f.makey الذي بعث من جديد المصطلح القديم، للحديث على المنوال التعليمي وهنا يتساءل أحد الدارسين قائلا: لماذا لا نتحدث نحن أيضا عن تعليم اللغات Didactique des Langues

* أستاذ بجامعة مستغانم/الجزائر.

بدلاً من اللسانيات التطبيقية Linguistique appliquée فهذا العمل سيزيل الكثير من الغموض ويعطي لتعليم اللغات المكانة التي يستحقها. (أحمد حساني ، 2000، ص130)

نفهم إذا أن التعليم مصطلح حديث النشأة جاء بلا من اللسانيات التطبيقية، إذا تراكمت بمجموعة من التغيرات، على رأسها انتقال المحور في التربية من العلم إلى المتعلم . الذي أصبح محور العملية التعليمية.

موضوع التعليم:

نطرح موضوعات عديدة على النشاط البحث في التعليم أهمها:

1- **معرفة عينة المتعلمين:** من هم؟ صغار أم كبار؟ وما هو مستواهم المعرفي ومعرفتهم السابقة بمواد

التخصص الذي يدرسونه وبالمادة التي سيدرسونها

وما هي خصوصياتهم النفسية والاجتماعية؟ (إبرير ، 2007، ص10)

كل هذه الأسئلة تمكن الباحث في التعليمية من تحديد حوافز المتعلم ودوافعه المختلفة نحو التعلم.

2- المعلم

في هويته وتكوينه وخصائصه النفسية والاجتماعية، وعلاقته بالتوجيهات العامة للتعلم وأساليب

ممارسته وطرائق تبليغه. (إبرير ، 2007، ص11)

3- **المحتوى:** ويتمثل في كل ما يتمثل تعليمه وجملة المعارف العلمية والفنية المكونة لمحتوى البرنامج

المقرر فيمكن الباحث في التعليمية أن يدرس المحتوى التعليمي دراسة وصفية أو تحليلية أو مقارنة

أجل تحديد مقاييس انتقاء المادة بدقة ففي تعليمية اللغة مثلاً يوجد عدة مبادئ لاختيار المادة

اللغوية فليس كل ما في اللغة ضرورياً للمتعلم (إبرير ، 2007، ص11)

4- **مؤسسة التعليم:** أين تقع؟ في بيئة اجتماعية مدنية أم ريفية؟ وهل هي قادرة على توفير وسائل

العمل اللازمة؟ (إبرير ، 2007، ص12)

5- **معرفة الأهداف:** ما نوعها؟ أي عامة أم خاصة أم إجرائية؟ وهل تتعلق بمهارات عامة أم

بمعارف معينة؟ ومن يختارها؟ ويحددها؟ فقد جلبت أنظار الاختصاصيين في التعليمية أهمية

الأهداف في تنظيم العملية التعليمية فيه الوصول الى الطريقة المثلى التي توضح لنا كيف نؤسس

تعليمية ما على أهداف تربوية تعليمية مدروسة بدقة (إبرير ، 2007، ص12).

6- **الأنشطة:** أي ما هي الأنشطة التي يقوم بها المعلم في تبليغه لمعلوماته والتي تتعلق بمهارات

السمع والكلام والقراءة والتصحيح؟ فهناك أنشطة شفوية وأخرى كتابية ولا يمكن الاكتفاء أو الاهتمام

أو الاكتفاء بجانب واحد منهما وإنما بينهما انسجام وتكامل (إبرير ، 2007، ص13)

7- الوسائل: التي يمكن استعمالها في أداء العملية مثلا هل قسم ام مخبر؟ هل كتاب ام مطبوعة ام

صور ام اشرطة

8- النتائج: التي تم تحقيقها فعلا (إبرير، 2007، ص14)

ومنه نلخص ان ما يمكن للباحث المتخصص في التعليمية أن المتعلمون في علاقة مع معلم لكي يتعلموا محتويات داخل إطار مؤسسة من أجل تحقيق أهداف عن طرق أنشطة بمساعدة وسائل تمكن من بلوغ نتائج.

عوامل التعلم:

هناك عوامل معينة تتكامل في إنجاز عملية التعلم منها ما يلي:

أ- **النضج:** يتصل التعلم بالنضج على درجة يعسو فيها الفصل بينهما على نحو لا يبقى ولا يذر إذ ما انفك النضج يتقاطع مع التعلم حتى أوشك أن يكون هو إياه، من حيث يساهمان في نمو الكائن الحي نمو متكامل، وأنها متلازمان، فالمطلوب حينئذ من المهتم بالعملية التعليمية أن يكون على وعي عميق بمراحل النضج المختلفة لدى المتعلم فيكون على دراية بالإجراءات التالية (حساني، 2000، ص52)

- ضبط حالة النمو عند الطفل، وحصر مراحلها المختلفة.
- تحديد خصائص نمو شخصية الطفل.
- لا يقدم المعلم على تعليم المتعلم مهارة من المهارات، قبل نضج عناصر هذه المهارة عضويا وعقليا.

ب- **الإستعداد:** يرتبط تهيأ الطفل واستعداده لتعلم مهارة ما بنموه العضوي والعقلي، العاطفي، والاجتماعي، وتشكل كل هذه الجوانب مجتمعة أرضية الاستعداد في عملية التعلم، يمكن لنا أن نمثل ذلك بمهارة القراءة التي تبدو في الظاهر أنها ترتبط بالعمر العقلي، ولكنها في الواقع تركز على مجموعة من الأسس العضوية والفنية وهي الأسس التي يمكن لنا أن نحصرها في العناصر التالية (حساني، 2000، ص53)

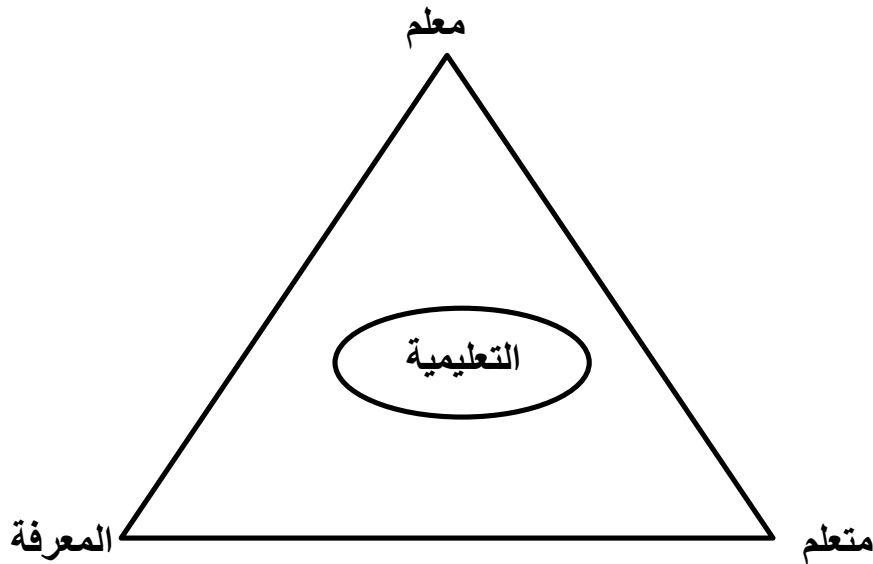
- اكتمال النضج العضوي للمتعلم واهتمامه الخاص بالقراءة من حيث هي مهارة قابلة للاكتساب.
- خبرة المتعلم السابقة وقدرته على الإفادة من الأفكار واستثماراتها.
- قدرة المتعلم على التفكير المجرد، وتجاوز العوائق والصعوبات.
- قدرة المتعلم على التمييز بين الأشكال المرئية وربطها بالصور السمعية (حساني، 2000، ص52)

ج- **التكرار:** وهو من الدعائم الصلبة التي تقوم عليها العملية التعليمية من حيث هو استمرار لفعل العلاقة القائمة بين المثير و الاستجابة، وهي العلاقة التي تتحول الى عادة عند المتعلم، مما يجعل

الذاكرة قادرة على استيعاب المفاهيم في سياقات متباينة ولكي يتحقق هذا الاقتران الثنائي لا بد من أن يكون التكرار هادفا وموجها وفق خطة بيداغوجية وتعلمية معينة (حساني، 2000، ص53)

عناصر العملية التعليمية:

تتكون العملية التعليمية من ثلاثة متتالية، تمثل العلاقة الناشئة بين العناصر الثلاثة رؤوس مثلث يربطها ببعضها مفاهيم أخرى تحدد العلاقة القائمة بينها ، تمثلها أضلاع ذلك المثلث يربطها ببعضها مفاهيم أخرى تحدد العلاقة القائمة بينها تمثلها أضلاع ذلك المثلث ، فالضلع الذي يربط بين المعلم والمعرفة هو الذي يحدد مفهوم نقل وتطوير المعرفة ، أما الضلع الذي يربط بين المعلم والمتعلم هو الذي يحدد مفهوم العقد التعليمي، أما الضلع الثالث هو الذي يربط بين المتعلم والمعرفة وعليه فسنتناول هذه المفاهيم أو العناصر بالتفصيل.



1- المعلم: يعرف محمد سلامة المعلم قائلا "مدرّب يحاول بالقدرة والمثال يسعى أن يحقق من أن التلاميذ يكتسبون العادات والاتجاهات والتشكل العام (صياح، 2006، ص13)

والسلوك المنشود عن طريق تحفيزهم إلى القيام بالمهام التي يسندها إليهم، وبالتالي يعلمهم من خلال ذلك كيف يتصرفون في المواقف التي يتعرضون إليها وكيف يختارون النجاح والتقدم في سلوكياتهم الاجتماعية(صياح، 2006، ص14)

وعليه نستطيع أن نستنتج ان المعلم هو أهم عناصر النظام التربوي، ومفتاح النجاح فهو أداة الاتصال المباشر بالتلميذ

ب- **المتعلم:** هو كائن حي تام، يتفاعل مع محيطه، له موقفه عن النشاطات التعليمية كما له موقفه من العلم من الوجود ومن العالم وله تاريخه التعليمي بنجاحاته وإخفاقاته، وله تصورات بما يتعلمه وله ما يحفزه وما يمنعه عن الإقبال عن التعلم. (حساني، 2000، ص35) ومنه اذن فالمتعلم شريك فاعل في العملية التعليمية، فهو بذلك شريك ضروري ودليل على نجاح المنهاج أو اخفاقه.

ج- **المعارف:** إن المعارف الواجب تعليمها معارف أكاديمية، تنتجها مراكز الأبحاث والجامعات ولكنها تخضع لتحديد وتنحل من قبل واضعي المناهج المدرسية، ومراكز اعداد المعلمين، ومؤلفي الكتب المدرسية، يتعاطى المعلم مع هذه المعارف في تحولاتها المختلفة ويستوعب محتواها ومقاديرها، ويبحث عن أنجح الأساليب لتقديمها الى المتعلمين، ومساعدتهم على بناءها وتمثيلها وتحصيلها(صباح ، 2006 ، ص15).

ح- **علاقة التعليمية بالمعارف (العلوم) الاخرى:** تتداخل التعليمية مع عدة تخصصات علمية أخرى إلى درجة يصعب التعريف بينها في بعض الأحيان ولهذا فإن الباحث فيها يجد نفسه مضطر للبحث في علوم أخرى ذات علاقة ومنافع مبادلة بينها وبين التعليمية ومنها:

اللسانيات:

فقد استفادت تعليمية اللغات من اللسانيات استفادة كبيرة على تعاقب مدارسها ونظرياتها فقد قدمت المدارس اللسانية ونظرياتها التي انبثقت عنها للتعليمية إمكانية التفكير والتأمل في المادة اللغوية والمناهج التي تحكمها، وذلك انطلاقا مما قدمه دي سوسبر في المدارس النيويوبولومفيد في المدرسة التوزيعية ومدرسة شومسكي التوليدية التحليلية وما قدمته المدرسة الانجليزية مع فيرث وقد نتج عن كل هذه المدارس عدة مفاهيم كان لها بالغ الأثر في تعليمية اللغات.

ومن أهم تلك المفاهيم مفهوم النظام عند ديسويسر ففي رأيه أن اللغة نظام محكم يتكون من مستويات التحليل هي : المستوى الصوتي، الصرفي، النحوي والمعجمي. ومن ثم فإن تحليل تلك الأبنية ووحداتها وما يربط بينهما من علاقة متنوعة. (ابرير، 2007، ص17)

استفادت تعليمية اللغات من اللسانيات أيضا في جانبها الصوتي في تصحيح النطق لدى المتعلمين خصوصا في تعلم اللغات الأجنبية، بالإضافة الى أن معظم المدارس اللسانية قد اتخذت من الجملة وحدتها الأساسية في دراسة اللغة، بالإضافة الى تكوين الارصدة اللغوية الأساسية التي يحتاجها المتكلمين باللغة في أغلب شؤون حياتهم وقضاء حوائجهم (ابرير، 2007، ص18)

ومن بين أهم المفاهيم اللسانية التي كان لها تأثير واسع في تعليمية اللغة ، مفهوم الملكة اللغوية، ويقابلها مفهوم الأداء أو الانجاز ومنها مفهومات أساسية في المدرسة التوليدية التحويلية فهي تمثل جملة القدرات والاستعدادات التي تمكن الفرد من انجاز اللغة بعد ذلك (ابرير، 2007، ص 19)

مما لا شك فيه أن التعلم عملية ديناميكية، قائمة أساسا على ما يقدم للطالب من معلومات ومعارف، وعلام يقوم به بنفسه من أجل اكتساب هذه المعارف وتعزيزها، ويجب الاهتمام أكثر بقابلية الطالب واستجابات العملية التعليمية، إذ أن تجربة الطالب هي الأساس في نجاح التعليم والبيداغوجية، يمكن للدراسة في هذا المقام أن يتساءل من العوامل عن المعلومات التي يمكن لها أن تحثه وتدعوه الى تعلم لغة معينة، كيف يمكن لنا أن يكون مجموعة العناصر اللسانية بشكل يناسب المعلم والمتعلم؟ ما هي الأساليب والطرائق البيداغوجية الناجحة؟ (حساني، 2000، ص 139)

يجب اخذ هذه التساؤلات بعين الاعتبار، ونحن نبحث عما يمكن ان تقدمه اللسانيات لتعليمية اللغات، لان تعليم اللغات ليس معناه ان نحشو ذاكرة المتعلم بقواعد ومعايير ثابتة للغة معينة، وإنما يجب ان يكون هدفنا هو ان نجعله يشارك ويتفاعل ايجابيا مع برنامج المادة التعليمية، لأن تعليم اللغة لا يهدف الى وضع لائحة مفتوحة من الكلمات في ذهن المتعلم، ولكن اكتسابه المهارات المناسبة ليساهم هو نفسه في ترقية علمية التعليمية، فالمعرفة هي تكوين طرائق واساليب وليست مختزلة معلومات، يمكن لنا ان نقول حينئذ.

إن اللسانيات من حيث إنها الدراسة التعليمية الموضوعية للظاهرة اللغوية، تصبح وسيلة معرفية ومنهجية ضرورية لتحديد المجال الاجرائي للعمليات التعليمية، وذلك بتوضيح الغايات والاهداف البيداغوجية من جهة، وتذليل الصعوبات والعوائق من جهة أخرى، لأنه بدون لجوء المعلم الى النظريات اللسانية المختلفة سوف يعسر عليه ادراك العلمية التلغوية للغة عند المتكلم، ويعسر عليه أيضا تحديد العناصر اللسانية التي تكون نظام اللغة المراد تعليمها (حساني، 2000، ص 140-141)

نفهم إذا أن اللسانيات لها دور مهم في تعلم اللغة، إذ أنها تشكل للباحث في التعليمية ميدانا للدراسة الظواهر التي يلاحظها في أبحاثه، وتعتبر مجال لتقديم تصورات أو خطط منهجية بغية تعلم اللغات.

علم النفس بأنواعه:

يشكل علم النفس بأنواعه* خلفية نظرية للكثير من النظريات والمقاربات التي تشكل مجالا لاهتمامات الباحث في تعليمية اللغات، فالنظريات التي تعمل على تنمية آليات الاستعمال اللغوي تستند الى خلفية معرفية تتعلق بعلم نفس السلوك الذي يعد مظاهر السلوك والملاحظة في الكلام منطقيا لدراسته،

* نقول علم النفس بأنواعه لأن التعليمية تستفيد من علم النفس العام علم النفس التربوي، علم النفس اللغوي

والاستجابات نحو المثيرات المختلفة، وتأسست المقاربات التواصلية على النظريات النفسية البنائية أو علم النفس التكويني أو المعرفي، كما يسمى أحيانا باعتبارها تعد النفسية البنائية، أو علم النفس التكويني أو المعرفي كما يسمى أحيانا، باعتبارها تعد عملية تفاعل بين الذات العارفة، وموضوع المعرفة، إن علم النفس يجيب عن الكثير من التساؤلات المتعلقة بالحياة التعليمية ويقدم معلومات مثيرة وثمينة عن الحاجات اللغوية، والدوافع نحو التعلم واستراتيجياته، ويحاول أن يجيب عن الأسئلة، (ابرير، 2007، ص 20) مثل: كيف يتلقى التلميذ خطابا؟

ما هي الصعوبات والعقبات التي تواجهه؟

علم الاجتماع:

إذا كانت التعليمية قد استفادت من حصاد علم النفس، فإنها قد استفادت أيضا من حصاد آخر لا يقل أهمية عن الأول، وهو حصاد علم الاجتماع، لأن اللغة ظاهرة اجتماعية أولا وقبل كل شيء، تلعب دورا حاسما في التواصل بين الأفراد والمؤسسات الاجتماعية المختلفة، ولهذا فإن علم الاجتماع يجيب على العديد من الأسئلة المتعلقة بالتعليمية، (ابرير، 2007، ص 20) مثل الاستعمالات اللغوية المختلفة. من يستعملها؟ ومع من يستعملها؟

البيداغوجيا:

تتطلب العملية التربوية بالضرورة التفاعل بين جميع عناصرها لتحقيق النجاعة التعليمية، بينته تعليمية ملائمة وقادرة على تحقيق متطلبات الجودة الشاملة للعملية التعليمية، من خلال تطبيق أساليب التعليم الراهن، التفاعل الإيجابي بين البيداغوجيا والتعليمية يعطي ثراء للعملية التعليمية من خلال تنظيمها لطرق وأساليب وتقنيات التعليم، العملية التعليمية جعلت من البيداغوجيا والتعليمية تجمع بينهما علاقة تكامل فلا نجاعة لواحدة دون الأخرى.

ولا يمكن الاستغناء عن واحدة دون الأخرى، فكلاهما ضروري وله دور بارز في تطبيق أساليب التعليم لجذب اهتمام المتعلم وتطوير معرفته وتنمي له القدرات الذهنية والمعرفية (حمداي، 2015، ص 9).

ومهارات التفكير العلمي، وتساعد على مواكبة التطور العلمي والتفاعل معها، لأن المتعلم هو مركز العملية التعليمية، فالهدف البيداغوجي هو تنظيم عملية التعلم بأبعادها النفسية والاجتماعية.

وتركز على التفاعل بين المعلم والمتعلم، وتعالج مشكلات المتعلم في تلقي المعارف، ولذلك تحتاج التعليمية هنا إلى البيداغوجيا لمعرفة حاجات المتعلم وأسباب الصعوبات التي تواجهه في عملية التلقي، ولاختيار الطرق الملائمة لمواجهة هذه الصعوبات وتجاوزها، لذلك فالعلاقة بين التعليمية والبيداغوجيا هي علاقة تكاملية، لان هذين المجالين محتاج الى بعضه البعض (حمداي، 2015، ص 9).

قائمة المراجع:

1. أحمد حساني. (2000) دراسات في اللسانيات التطبيقية نقل تعليمية اللغات. - الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
2. أنطوان صياح. (2006) تعليمية اللغة العربية. - ج 1. - بيروت-لبنان: دار النهضة العربية.
3. بشير ابرير. (2007) تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق. - الأردن: عالم الكتب الحديث.
4. جميل حمداوي. (2015) مكونات العملية التعليمية. - متاح على الرابط:
<http://imoshaf.com/ar/books/96769/read?page=151&part=1>